وفيها يوم الأربعاء الثَّاني والعشرين من ذي الحِجَّة توفي الشيخُ بدر الدين المَرَاغي شيخ خانقاه الطَّاحون، وقع به سُلَّم من أعلاها إلى الوادي، وكان شيخاً حسناً صالحاً فقيهاً، تولَّى العقود مُدَّة والقضاء بوادي بردى، ثم انقطع في هذه الخانقاه في آخر عمره إلى أن توفي بها، رحمه الله، ورضي عنه.

ثم دخلت سنة خمسٍ وخمسين وست مئة

ففي أول ربيع الأول توفي الأمير نور الدِّين أبو الحسن المغربي الميورقي[١]، وكان له بيت عندنا بالمدرسة العادلية، ودفن بالجبل بمقبرة ابن يغمور ـ رحمه الله ـ وهو من أقارب الميورقي الملك المشهور ببلاد المغرب.

وفيها في ثامن ربيع الأول توفي الشيخ تقي الدِّين عبدُ الرحمن بن أبي الفَهْم اليَلْداني[٢] بقرية يلدا، ودُفِنَ بها، وكان شيخاً صالحاً، مشتغلاً بالحديث سماعاً وكتابةً وإسماعاً إلى أن توفي، وله نحوٌ من مئة سنة.

أخبرني أنه كان مراهقاً في سنة تسعٍ وستين وخمس مئة حين طهَّر نُور الدين ابن زَنْكي ـ رحمه الله ـ ولدَه[٣]، وأنه حَضَرَ الطُّهورَ ولِعْبَ الأمراء بالميدان من قريته مع الصِّبْيان.

وأخبرني أنه رأى النبيَّ ﷺ، وقال له: يا رسول الله، بالله ما أنا رجل جيد؟ فقال: بلى أنتَ رجلٌ جيِّد.

---

(١) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٨٤، عيون التواريخ: ٢٠/ ١١٩ ـ ١٢٠، النجوم الزاهرة: ٧/ ٥٩.

(٢) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٧٠، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٣١١ ـ ٣١٢، العبر للذهبي: ٥/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤، عيون التواريخ: ٢٠/ ١١٥، الوافي بالوفيات: ١٨/ ١٧٦ ـ ١٧٧، البداية والنهاية (وفيات ٦٥٥هـ)، النجوم الزاهرة: ٧/ ٥٩، الدارس: ١/ ٩٣، شذرات الذهب: ٥/ ٢٩٩.

(٣) انظر «كتاب الروضتين»: ٢/ ٣٠٥.

أسمعتُ عليه ولدي أبا الحَرَم محمداً ـ رحمه الله ـ كثيراً بقراءتي وقراءة غيري، وأجاز لابني أبي الهُدَى أحمد ـ أنشأه الله صالحاً ـ روايةَ جميع ما يجوز له وعنه روايته، رحمه الله.

وفيها في منتصف ربيع الأول توفي الشيخ شَرَف الدِّين محمد بن أبي الفَضْل المُرْسي[1] ـ رحمه الله ـ في طريقه من مِصْر إلى الشَّام، ودفن بمنزلة الزَّعقة بين العريش والدَّاروم.

١٩٦ وكان شيخاً، فاضلاً، مفتياً، كثيرَ الحجِّ، محقِّقَ البحث، مقتصِداً في أموره، كثيرَ الكتب، معتنياً بالتفتيش عنها، محصِّلاً لها، وكان قد أعطي قَبُولاً بالبلاد الإسلامية، لا يَحُلُّ في بلد إلا ويُكْرِمُهُ رؤساؤه وأهلُه، وأكثر مُقَامه بالحجاز ومِصْر والشَّام.

وفي أوائل شهر ربيع الآخر جاءنا الخبر من ديار مِصْر بموت ملِكها حينئذٍ عزِّ الدين أَيْبَك التركماني[2]؛ أحد مماليك نجم الدِّين أيوب بن الكامل بن العادل بن أيوب، وهو الذي غَلَبَ عليها بعد قَتْلِ ابنه المُعَظَّم بن الصَّالح بن الكامل، ويلقب بالملك المُعِزِّ، وكَثُرَ الظُّلْم والقَتْل بتلك الدِّيار من المماليك

(١) له ترجمة في معجم الأدباء: ١٨/ ٢٠٩ ـ ٢١٣، التكملة لابن الأبار: ٢/ ٦٣٣ ـ ٦٦٤، ذيل مرآة الزمان: ١/ ٧٦ ـ ٧٩، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ٣١٢ ـ ٣١٨، العبر للذهبي: ٥/ ٢٢٤، عيون التواريخ: ٢٠/ ١١٧ ـ ١١٩، الوافي بالوفيات: ٣/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٦٩ ـ ٧٢، طبقات الشافعية للإسنوي: ٢/ ٤٥١ ـ ٤٥٢، نزهة الأنام: ٢٣٧ ـ ٢٣٨، البلغة: ٢٢٨، العقد الثمين: ٢/ ٨١ ـ ٨٦، طبقات النحاة واللغويين لابن قاضي شهبة: ١٤١ ـ ١٤٣، النجوم الزاهرة: ٧/ ٥٩، بغية الوعاة: ١/ ١٤٤ ـ ١٤٦، طبقات المفسرين للداودي: ٢/ ١٦٨ ـ ١٧٢، نفح الطيب: ٢/ ٢٤١ ـ ٢٤٢، شذرات الذهب: ٥/ ٢٦٩.

(٢) له ترجمة في ذيل مرآة الزمان: ١/ ٤٥ ـ ٤٧، سير أعلام النبلاء: ٢٣/ ١٩٨ ـ ٢٠٠، العبر للذهبي: ٥/ ٢٢٢، عيون التواريخ: ٢٠/ ١١١، الوافي بالوفيات: ٩/ ٤٦٩ ـ ٤٧٤، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ٢٦٩، البداية والنهاية (وفيات ٦٥٥هـ)، نزهة الأنام: ٢٣١ ـ ٢٣٢، النجوم الزاهرة: ٧/ ٣ ـ ١٩، حسن المحاضرة: ٢/ ٣٨، شذرات الذهب: ٥/ ٢٦٧.

المعروفين بالبحرية في أموال المسلمين ونسائهم وأولادهم إلى أن قَتَلَ رفيقَه فارسَ الدِّين أقطاي، ثم مات هذا التركماني بداره بغتةً، ولا يُعْلم سببُ موته، وتعصَّبَ أصحابه لإقامة ابنه مقامه، ولقَّبوه بالملك المنصور نور الدين عليّ، وضُرِبَ الدِّرْهَمُ باسمه، واتَّهموا زوجة التركماني أنها قتلته، فأعدموها، وكانت جاريةً لسيِّدهم الملك الصَّالح أيوب بن الكامل، تكنى أم خليل بابنٍ له منها دَرَجَ، وتلقَّب شجرة الدُّرّ، والله تعالى يصلح أمور المسلمين، وكانت قد خنقت أيضاً وزيرَها القاضي الأسعد شرف الدين الفائزي[1].

وفي هذه السنة نَظَمْتُ قصيدةً في أُمِّ ولدي أحمد ست العرب ابنة شرف الدِّين محمد بن علي بن ذنو، القرشي العَبْدَري الأندلسي المُرْسي، وكان من أهل الفَضْل والرِّياسة في الدُّنيا، ومن وجوه بلده، فقلتُ:

تَـزَوَّجْـتُ مِـنْ أولادِ ذُنـوِ عَـقِـيـلَـةً ... بها مِنْ خِصالِ الخَيْرِ ما حَيَّرَ العَقْلا
مُكَمَّلةُ الأوصافِ خُلْقاً وخِلْقَةً ... فأهلاً بها أهلاً وسَهْلاً بها سَهْلا
وَلُـودٌ وَدُودٌ حُـرَّةٌ قُـرَشِـيَّـةٌ ... مُخَدَّرةٌ مَعْ حُسْنِها تُكْرِمُ البَعْلا
وبـازلـةٌ نِـظْـيـفـةٌ ولَـطِـيـفَـةٌ ... مِن اظْرَفِ إنسانٍ وأحْسَنِهِمْ شَكْلا
صَبُورٌ شَكُورٌ حُلْوةٌ وفَصِيحةٌ ... مُتَقِّنةٌ أيْ تُتْقِنُ القَوْلَ والفِعْلا
تَغَارُ مِن اسْبابِ النَّقائصِ كلِّها ... وتحفَظُ مالَ الزَّوْجِ والنَّفْسَ والأهلا
حَصَانٌ رَزَانٌ ليسَ فيها تكبُّرٌ ... قَنُوعٌ فلا شُرْباً تَذُمُّ ولا أكْلا
مُطاوعةٌ للبَعْلِ يَقْظَى أديبةٌ ... موافقةٌ قولاً وفِعْلاً فما أحلى
صغيرةُ سِنٍّ في الكلامِ كبيرةٌ ... تُبَصِّرُ أتراباً لها الحِلْمَ والجَهْلا
يَشُرْنَ عليها بالبروزِ تَفَرُّجاً[2] ... فتأبى وَقَعْرُ البيتِ في عَيْنها أحْلَى
مُداريةٌ للأهْلِ إن عَتِبَتْ وإنْ ... أحبَّتْ فلا حِقْدٌ لديها ولا غِلَّا

(١) كذا قال، وقيل: إن أم الملك المنصور علي هي التي قتلته، انظر «أخبار الأيوبيين»: ١٦٦، و«السلوك» للمقريزي: ج١/ق٢/ ٤٠٦ .

(٢) في (ك) و(ع) و(س): يشرن عليها بالتفرج مرة.

رقيقةُ قَلْبٍ مَعْ سلامةِ دِينِها ... فلستَ ترى شِبْهاً لها في النِّسا أَصْلا
خَدُومٌ بقَلْبٍ في جميعِ أمورِها ... مباشِرَةٌ لِلكُلِّ ما دَقَّ أو جَلَّا
ملازمةٌ لِلشُّغْلِ في البيتِ دائباً ... على صِغَرٍ مِنْ سِنِّها لاتني فِعْلا
مُطَرِّزَةٌ خَطَّاطَةٌ ذَهَبِيَّةٌ ... مُفَصِّلَةٌ خيَّاطة تُحْكِمُ الغَزْلا[1]
تَنَقَّلُ في الأشغالِ مِنْ ذا وذا ... وتَفْعَلُ حتَّى الكَنْسَ والطَّبْخَ والغَسْلا
وما ذاكَ مِنْ عُدْمٍ فلم يَخْلُ بيتُها ... من امرأةٍ تكفي إذا شاءتِ الفِعْلا ١٩٧
ولكنَّها اعتادَتْ نظافةَ شُغْلِها ... فعافَتْ فِعالَ الكَلِّ واختَمَلَتْ ثِقْلا
خفيفةُ رُوحٍ مَعْ وَقارٍ ذكيةٌ ... فَتَفْهَمُ ما يُلْقى لديها وما يُتْلَى
وإنْ نَظَرَتْ ما لم تَعَرَّفْه صَمَّمَتْ ... عليه إلى أنْ تَحتويه وما اخْتَلَّا
لها هِمَّةٌ عُلْيا تُطَوِّلُ رُوْحَها ... على أَصْعَبِ الأشغالِ تَتْرُكُه سَهْلا
مُرَبِّيةٌ[2] حَنَّانةٌ ذاتُ رَحْمَةٍ ... فكلُّ يتيمٍ واجدٌ عندها فَضْلا
نَفُورٌ إذا ارْتابَتْ أَلُوفٌ لأَهْلِها ... فمهلاً إذا قِيْسَ النِّساءُ بها مَهْلا[2]
كذلكَ كانَ الحَظُّ لمَّا تَعَرَّضَتْ ... لهُ حاصلاً فيها صحيحاً وما اعْتَلَّا
سريعةُ دَمْعِ العَيْنِ مِنْ رِقَّةٍ بها ... فيا بُعْدَ أنْ تَلْقَى لها في النِّسا مِثْلا
عديمةُ لَفْظٍ والتفاتٍ إذا مَشَتْ ... صَمُوتٌ فلا قَطْعاً تَرُدُّ ولا وَصْلا
ولم يَنْكشِفْ منها بَنَانٌ يحارُ مَنْ ... مشى مَعَها في حِفْظِها يَدَها فَتْلا
يَعِزُّ على من يطرُقُ البابَ لَفْظُها ... جواباً فلا عَقْداً تراه ولا حَلَّا
يُطيلُ وقوفاً لا يجابُ مُحَرِّمٌ ... عليها كلامُ الأجنبيِّ وإنْ قَلَّا
تَمَيَّزُ حتَّى في الكلامِ فلا تُرَى ... لها لفظةٌ إلا وقد وَقَعَتْ فَصْلا
ولستَ تَرَى مِنْ لُثْغَةٍ في كلامِها ... فألفاظُها دُرٌّ تُنَضَّدُ أَوْ أَغْلى

(١) هذا البيت في الأصل بعد قوله: خدوم.. والمثبت من بقية النسخ.
(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب).

إذا أَبْصَرَتْ ما فيه عَيْبٌ لها أَبَتْ ... وَتَفْعَلُ ما تهوى طَرِيْقَتُهَا المُثْلَى
وحافظةٌ للغَيْبِ صالحةٌ أَتَتْ ... بحقٍّ إذا كانتْ مناقِبُها تُتْلَى
وقانتةٌ صوَّامةٌ ومُدِلَّةٌ ... بعَقْلٍ وتَدبيرٍ يراه العِدى بُخْلا
يُقِرُّ لها بالفَضْلِ في العَقْلِ كلُّ مَنْ ... يَرَاها من النِّسْوان ما تَعْرِفُ الهَزْلا
مِنَ المُحْصَناتِ الغَافلاتِ فَمَنْ رَمَى ... حَصَانَتَها يُلْعَنْ وذاكَ بهِ أَوْلى
تَجَمَّعَ فيها عِفَّةٌ ونَزَاهةٌ ... وعِزَّةُ نَفسٍ فَهْي تُكلا ولا تُقْلا
وأحسنُ مِنْ ذا كلِّه أنَّ هذه الـ ... ـخصائِلَ طَبْعٌ لم تُكَلَّفْ لها حَمْلا
تَقِلُّ نظيراً في نساءِ زماننا ... فلا تَعْذُلوني في مَحَبَّتِها عَذْلا
بَنَيْتُ بها بنتاً لأربعَ عَشْرَةٍ ... وهذي الخِصالُ الغُرُّ في ذاتها تُجْلى
وأوصافُها في كلِّ عامٍ تزايَدَتْ ... ولم تتغيَّر قَطُّ سيرتُها الأُولى
وحَسْبُكَ عَشْرٌ مِنْ سنين لها انقَضَتْ ... معي لم أَقُلْ أُفٌّ لديها ولا كَلَّا
١٩٨ لقد جَمَّلَتْ لا غَيَّر الله ما بها ... عَشِيْرَتَها والأَمْرُ مِنْ بعدِ ذا أعلى
فللهِ حَمْدٌ دائمٌ ونسالُه ... مزيدَ الذي أَسْدَى وتتْمِيمَ ما أَوْلَى
ولكنَّ فيها نُفْرَةً وتَغَضُّباً ... وسُرْعةَ غَيْظٍ عند لَفْظٍ لها يُعلى
فواللهِ ما أدري أذلكَ مُسْقِطٌ ... مَنَاقِبَها عند الحسودِ[1] لها أَمْ لا؟

وفي خامس عشر جُمادى الآخرة توفي بدمشق الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف التِّلِمْساني، المقيم بالمنارة الشَّرقية بالجامع من سنين كثيرة، وكان شيخاً معمَّراً، منقطعاً عن الناس، محبّاً للعُزْلة، ودُفِنَ بالجبل، وكان يروي كتاب «الأحكام الصُّغرى» لعبد الحقِّ الإشبيلي، عن البرهان بن علوش مدرِّس المالكية بدمشق، عن المصنِّف، رحمه الله.

وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحِجَّة عُمِلَ عَزَاءُ الشيخ نجم الدِّين

(١) في (ب): الجهول.

البادَرَائي[١] مدرِّس[٢] النِّظامية بمدرسته التي أنشأها بدمشق في موضع دار سامة[٢].

وكان شيخاً صالحاً، فقيهاً، فاضلاً، كريماً، متواضعاً، وكان يقدَمُ الشَّام والدِّيار المِصْرية رسولاً من قِبَلِ آخر خُلفاء بغداد، وهو المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن النَّاصر بن المستضئ، وبنى بدمشق[٣] المدرسة المذكورة وهي[٣]: مدرسةٌ حسنةٌ للفقهاء الشافعية، ووقَفَ عليها وقوفاً حسنة، وجَعَلَ بها خِزَانة كُتُبٍ جيدة، ثم رَجَعَ إلى بغداد في هذه السنة، فولي قضاء القُضَاة بها على كُرْهٍ منه لذلك. وأخبرني مَنْ حَضَرَ موته ببغداد أن وفاته كانت أول يومٍ من ذي الحِجَّة، ودفن بمقبرة الشُّونيزي، وبقي في القضاء سبعة عشر يوماً، وبعد موتِ البادرائي بأيامٍ قلائل نزلت التَّتار ـ خذلهم الله ـ على بغداد، والخليفة بها يومئذٍ هو المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيئ بن المستنجد، واستولوا عليها في السنة الآتية كما سيأتي ذكره.

نجم[٤] الدين البادَرَائي هو أبو محمد عبد الله بن محمد[٥] بن الحسن بن عبد الله بن عثمان بن أبي الحسن بن حسون، مولده يوم الجمعة بعد العصر سَلْخ المحرَّم سنة أربع وتسعين وخمس مئة ببغداد، وتوفي يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة خمس وخمسين وست مئة ببغداد، ودفن قريباً من الجُنَيْد، رضي الله عنه[٤].

---

(١) جاء التعريف به هنا في النسخ الخطية، مما يقطع سياق الخبر، أما في الأصل فجاء في آخر الخبر، وهو الأليق به، ويبدو أنه قد كتب في ورقة طيارة، ثم أضيف في الأصل إلى هذا الموضع، وأضيف في تلك النسخ إلى ذلك الموضع، والله أعلم.

(٢ ـ ٢) ما بينهما ليس في (ب)، وانظر حاشيتنا رقم ٢ ص ١٦٧ من الجزء الأول.

(٣ ـ ٣) ما بينهما ليس في الأصل و(ب)، والمثبت من بقية النسخ.

(٤ ـ ٤) هذا التعريف جاء في أول الترجمة في النسخ ما عدا الأصل. انظر حاشيتنا رقم (١) من هذه الصفحة. وقد وفقنا بين النسخ في اسمه على الصواب.

(٥) له ترجمة في تكملة ابن الصابوني: ٢٧ ـ ٣١، مختصر التاريخ لابن الكازروني: ٢٧٨ ـ ٢٧٩، ذيل مرآة الزمان: ١/ ٧٠ ـ ٧٣، الحوادث الجامعة: ١٥٥ ـ ١٥٦، سير أعلام =

وفي ذي الحِجَّة من هذه السنة توفي الشيخ يوسف الواسطي الأعرج، المقرئ ـ كان ـ بجامع دمشق تحت قُبَّة النَّسر، وكان أحدَ القُرَّاء بالتربة الأشرفية، وكان أحدَ الشيوخ الصُّلَحاء الصَّابرين على البلاء، كان مُصَاباً بيده ورِجْله، ومع ذلك هو مواظبٌ على الطَّهارة والصَّلاة، وقراءة القرآن، وإيثار الفقراء، وهو من أصحاب الطَّائفة الرِّفاعية الواسطية؛ ومن مشايخهم بدمشق، وكانت وفاته بالمدرسة الصَّادرية بحضرة باب الجامع من جهة باب البريد، رحمه الله.

ومات سيفُ الدِّين المشد[1].

ثم دخلت سنة ستٍّ وخمسين وست مئة

ففي أوَّلها في المحرَّم استولى التَّتار ـ لعنهم الله ـ على بغداد، فقتلوا ونهبوا، وفعلوا ما جَرَتْ عادتهم عند استيلائهم على بلاد العَجَم على ما ذكرناه

= النبلاء: ٢٣/ ٣٣٢ ـ ٣٣٤، العبر للذهبي: ٥/ ٢٢٣، عيون التواريخ: ٢٠/ ١١٥ ـ ١١٦، الوافي بالوفيات: ١٧/ ٥٨٠ ـ ٥٨١، طبقات الشافعية للسبكي: ٨/ ١٥٩، طبقات الشافعية للإسنوي: ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧، البداية والنهاية (وفيات ٦٥٥هـ)، نزهة الأنام: ٢٣٨، توضيح المشتبه: ١/ ٣١٨ ـ ٣١٩، السلوك للمقريزي: ج١/ ق٢/ ٤٠٧، النجوم الزاهرة: ٧/ ٥٧، الدارس: ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦، شذرات الذهب: ٥/ ٢٦٩، منادمة الأطلال: ٨٧ ـ ٨٨.
والبادراني، بالدال والذال معاً، وهو صحيح على الوجهين، وهي نسبة إلى بادرايا قرية من أعمال واسط. وقال العلامة مصطفى جواد في تعليقه على «مختصر التاريخ» لابن الكازروني: وتعرف اليوم باسم «بدرة»، فيها تمر يسمى بيدراية، انتشر منها نخله في العراق.

(١) هو الأمير الشاعر علي بن عمر بن قزل بن جلدك التركماني الياروقي، له ترجمة في العبر للذهبي: ٥/ ٢٣٣، فوات الوفيات ٣/ ٥١ ـ ٥٦، عيون التواريخ: ٢٠/ ١٢٠ ـ ١٢٧، الوافي بالوفيات: ٢١/ ٣٥٣ ـ ٣٦٥، البداية والنهاية (وفيات ٦٥٥هـ)، نزهة الأنام: ٢٤٤ ـ ٢٤٦، النجوم الزاهرة: ٧/ ٦٤ ـ ٦٥، حسن المحاضرة: ١/ ٥٦٧، نفح الطيب: ٢/ ٤٠٨ ـ ٤١٠، شذرات الذهب: ٥/ ٢٨٠، وعندهم وفاته ـ ما عدا ابن كثير في «البداية والنهاية» ـ سنة (٦٥٦هـ)، فقد مات في تاسع محرم منها.